



سورة الضحى: مقارنة أسلوبية

Surat (Ad-Dhuha) : a Stylistic Approach

زينب يوسف<sup>1</sup>، بن عيسى بطاهر<sup>2</sup>

<sup>1</sup> جامعة الشارقة، (دولة الإمارات العربية المتحدة) benissa@sharjah.ac.ae

<sup>2</sup> جامعة الشارقة، (دولة الإمارات العربية المتحدة) benissa@sharjah.ac.ae

ملخص:

هذه الدراسة مقارنة أسلوبية في سورة (الضحى)، ويشير السياق الخارجي للسورة أنها نزلت في ظروف خاصة سمّاها المفسّرون (فتور الوحي)، وهو يعني انقطاع الوحي لمدة معينة عن الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، وقد اغتنم أعداء الإسلام هذه الفرصة للطعن في صاحب الرسالة، والزعم بانقطاع الوحي، فجاءت سورة (الضحى) في هذا السياق الحجاجي للردّ وإيضاح القضية، وإثبات عناية الله لرسوله وعدم انقطاع الوحي، وكان أن استخدمت جملة من الأساليب البيانية التي ستركز الدراسة على تحليلها وبيان دلالاتها، وذلك من خلال الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، والتركيز على السياق الداخلي للكشف عن المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، مع التعامل مع النص بوصفه بنية لغوية مترابطة.

المؤلف المرسل: بن عيسى بطاهر، الإيميل: [benissa@sharjah.ac.ae](mailto:benissa@sharjah.ac.ae)

**كلمات مفتاحية:** سورة الضحى؛ أسلوبية؛ سياق؛ حجاج؛ الوحي؛  
الدلالة؛ البيان؛ المنهج الوصفي.

**Abstract:**

Abstract: This study represents a stylistic approach in Surat (Ad-Dhuha), the external context of this surah indicates that it was revealed in special circumstances called by the Quran's interpreters (the Interruption of revelation); which means the interruption of Quran revelation to the Messenger Muhammad – Peace be upon him- for a certain period. The enemies of Islam seized this opportunity to challenge the prophet and his message. They had claimed that revelation is interrupted but Surat (Ad-Dhuha) came in this context to respond, clarify the issue, and prove Allah's care for his Messenger. This study therefore analyses and clarifies the implication of the demonstration techniques used in the aforementioned 'Surah' and, to do so, it opts for the descriptive and analytical approach; focusing on the internal context to reveal the phonemic, morphological, compositional and semantic levels while dealing with the text as a coherent linguistic structure.

**Keywords:**

Surat Ad-Dhuha, Stylistic, context, revelation, implication, demonstration, descriptive approach.

**مقدمة:**

تركّز الدراسات الأسلوبية الحديثة في تناولها للنصّ القرآني على تحليل الظواهر البيانية الظاهرة فيه، مع الحرص على إيجاد العلاقات بين أجزائه، والتماسك بين مكوناته من خلال النظرة الكلية التي تراعي وحدة الموضوع، وذلك يعني بالضرورة الإفادة من بعض معطيات البلاغة في تحليل الجملة والفنون البلاغية، كما أنّ المقاربة الأسلوبية تستند إلى المنهجية الحديثة القائمة على التحليل الموضوعي للغة النصّ القرآني اعتماداً على الوصف والإحصاء، ومحاولة الكشف عن دلالاته ومقاصده، مع مراعاة طبيعة هذا النصّ بوصفه خطاباً دينياً أنزله الله تعالى لهداية عباده، فضلاً عن مراعاة السياقات الخارجية (أسباب النزول) التي رافقت نزول الوحي؛ لأنّ طبيعة النصّ القرآني تقتضي ذلك، وقد اختارت هذه الدراسة سورة (الضحى)، وهي إحدى السور المكية القصيرة التي نزلت في ظروف خاصّة سمّاها المفسرون (فتور الوحي)، والفتور يعني انقطاع الوحي لمُدّة معينة عن الرسول الكريم – صلّى الله عليه وسلم - الأمر الذي وفّر فرصة لمنكري الرسالة بالقيام بحملة إعلامية مضادة للتشويش وللنيل من صاحب الرسالة، فجاءت سورة (الضحى) في هذا السياق

الحاجي للردّ وإيضاح القضية، فكان أن استخدمت جملة من الأساليب البيانية التي ستركز الدراسة على تحليلها وبيان دلالاتها، وذلك من خلال الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، والتركيز على المستوى الصوتي والصرفي والتركيب والدلالي، والتعامل مع النصّ معه بوصفه بنية لغوية مترابطة.

وقد كان من الضروري أن تشمل هذه الدّراسة في إطارها النظري على تقديم تعريف موجز عن سورة (الضحى)، مع الإشارة إلى موضوعها الأساسي كما تقرّر في المصادر التفسيرية، وأمّا الإطار التطبيقي فكانت العناية فيه منصبّة على تحليل لغة النصّ وفق المستويات اللغوية المذكورة، ومحاولة الكشف عن بنيتها ودلالاتها ووظيفتها في سياقاتها المختلفة، مع مراعاة النظرة العامّة في النصّ، ومحاولة الإفادة من معطيات الإحصاء لتحقيق قدر من الموضوعية في التحليل.

وتتحدد إشكالية الدراسة من خلال محاولة الكشف عن مدى إسهام هذا الإجراء في فهم هذا النصّ القرآني المعجز، ولا يتأتّى ذلك إلّا من خلال دراسة بنيته اللغوية ووظيفته في إنتاج المعنى، وذلك بالنظر إلى استخداماته المجازية التي تعدّ أحد أنواع الانزياح الأسلوبي المهمّ في التعبير الأدبي، وسيكون اعتمادنا في هذه المقاربة على المنهج الوصفي التحليلي، مع الاستعانة بالمنهج الإحصائي الذي سيمدنا ببعض المعطيات التي قد تساعدنا على فهم الأهداف العامّة التي تسعى سورة (الضحى) إلى تحقيقها، ويمكن تلخيص أسئلة الدراسة في النقاط الآتية:

1. ما مدى توظيف المقاطع الصوتية والفواصل في تشكيل الدلالة في السورة الكريمة؟

2. ما أبرز الظواهر الصرفية التي كان لها وظيفة فاعلة في تحقيق النظم المعجز؟

3. ما طبيعة التراكيب النحوية وبنيتها اللغوية ودلالاتها الأسلوبية في السورة الكريمة؟

4. ما الظواهر الأسلوبية التي أسهمت في البناء الخارجي والداخلي للسورة الكريمة؟

وقد تناولت دراسات سابقة سورة الضحى بالدراسة والتحليل من أبرزها دراسة عامر صالح وعبد الكريم محمود: "مظاهر أسلوبية في إجراءات تفسير سورة الضحى" (2010م)، وقد تتبع الباحثان جانباً من التقابل الدلالي الذي وقع في السورة، عن طريق ما حصل فيها من اللف والنشر، وأسباب ذكر المفعول وأسباب حذفه، وظاهرة التذكير والتأنيث والتقييد، مع ذكر آيات وتجليّة المظاهر الأسلوبية بحسب ما ذكرت في كتب

## سورة الضحى: مقاربة أسلوبية..... مجلة فصل الخطاب

التفسير. ودراسة شمس الضحى مراكشي: " قراءة بلاغية أسلوبية في سورة الضحى" (2015م) ؛ حيث ركزت الباحثة على دراسة المستوى التركيبي في الجمل الخبرية في السورة، أما المستوى الصوتي فقد اكتفت بدراسة الفاصلة فقط.

وترتكز هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يتخذ الوصف اللغوي وسيلة للكشف عن الملامح التعبيرية البارزة في السورة. وقد قسمت خطة البحث إلى أربعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: المستوى الصوتي، وشمل الفاصلة القرآنية والمقاطع والموازنات والمناسبة الصوتية، ولامح الأصوات المفردة.

المبحث الثاني: المستوى الصرفي، وقد تناول بنية الأفعال وبنية الأسماء.

المبحث الثالث: المستوى التركيبي، وقد شمل بنية الجملة الخبرية والإنشائية، والتقديم والتأخير والحذف والذكر.

المبحث الرابع: المستوى البياني، وقد تناول الصورة البيانية المتمثلة في بعض أنواع المجاز، وفي أسلوب اللف والنشر.

تمهيد:

سورة الضحى مكية باتفاق العلماء، وسميت هذه السورة في أكثر المصاحف وفي كثير من كتب التفسير «سورة الضحى» بدون واو، ووردت بإثبات الواو «سورة والضحى» في بعض التفاسير وفي «صحيح البخاري»<sup>1</sup>، وورد في سبب نزولها أحاديث كثيرة، منها: ما رواه البخاري عن جُنْدُبٍ، قَالَ: "أَبْطَأَ جَبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ امْرَأَةٌ لَقَدْ تَرَكَهُ صَاحِبُهُ، فَأُنْزِلَتْ: { وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى } (الضحى: 1، 2)<sup>2</sup>.

وهدفَت السورة إلى إبطال قول المشركين الذين زعموا أنّ ما يأتي من الوحي للنبي - ﷺ - قد انقطع عنه، وإلى تسليّة الرسول وتثبيت قلبه، فقد زادت به بشارة بأن الآخرة خير له من الأولى، وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه، وذلك يغيظ المشركين، ثم ذكره الله بما حقّه به من اللطافة وعنايته في صباه وفي فتوّته وفي وقت اكتهاله، وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نفع لعبيده، وثناء على الله بما هو أهله<sup>3</sup>.

وتعدّ سورة الضحى من السور القصيرة، ومع ذلك فقد "عالجت عددًا من الموضوعات المهمّة في نسق موضوعي اتّسم بالاتساق والتناغم الموضوعي، مع استخدام كثيف للرمز على مستوى الفقرة نفسها، وعلى مستوى العبارات المتتابعة في نصّ السورة"<sup>4</sup>.

ويمكن توزيع موضوعات السورة في إطارها العام على النحو الآتي:  
الآيات [1-2]: القسم بالضحي في ظهوره وإشراقه، وبالليل في سكونه وهدوئه، وفي ذلك دلالة على معاني الطمأنينة والهدوء والسكينة.  
الآيات [3-4]: تسليّة النبي - صلى الله عليه وسلم - وطمأننته بلطف الله تعالى وعنايته به.

الآيات [5-8]: امتنان الله وتفضله بما أنعم به على رسوله الكريم من النعم الدينية والدنيوية.

الآيات [9-11]: الطلب بالعناية بالأيتام والمعاملة الحسنة بالسائلين، والقيام بشكر النعم في جميع الأحوال.

### (1) المستوى الصوتي

يتناول المستوى الصوتي أصوات اللغة من جوانب مختلفة، ويعدّ البناء الصوتي جانباً مهماً في إنتاج الدلالة؛ إذ إنّ أيّ عمل ذي طابع إبداعي هو نظام من الأصوات، وستركّز الدراسة في هذا المستوى على دراسة الفواصل، وملامح الأصوات المفردة، والمناسبة والموازنات الصوتية، على النحو الآتي:

#### 1. الفاصلة القرآنية

هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع، وتتجلّى وظيفتها في بيان المعنى وتحسين الكلام، قال الباقلاني: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني"<sup>5</sup>، وقال الزركشي: "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها؛ وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام"<sup>6</sup>.

والفاصلة ظاهرة أسلوبية بارزة في الخطاب القرآني، وهي تضيف على النص قيمة صوتية ودلالية وجمالية؛ أي أنّ الفاصلة ليست لمجرد زخرفة شكلية لتحسين البناء اللفظي، وإنّما تأتي لمقتضيات معنوية، مع نسق الإيقاع بهذه الفواصل، وائتلاف الجرس لألفاظها التي اقتضتها المعاني على نحو تتقاصر دونه بلاغة البلغاء.<sup>7</sup>

وقد تكون الفواصل متماثلة وفيها يتجلى الإيقاع الصوتي والدلالي في أبهى صوره، وقد تكون متنوعة، ويتجلّى ذلك في أغلب سور القرآن، ويستحيل وضع قواعد له، وهو الذي يتضح في سورة الضحى، حيث يتوالى تغيّر الفواصل على عدّة مقاطع، ينتهي المقطع الأول منها بحرف المدّ، والثاني بحرف الراء، والأخير بحرف الشاء.

والفاصلة في كثير من السور لا تتغير لمجرد التنوع<sup>8</sup>، بل إن تغيير نظام الفاصلة مرتبط بالمعاني المقصودة في التعبير القرآني، فإذا تأملنا سورة الضحى فسنجد أن الفاصلة في الآيات: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى مَا دَعَاكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} تختلف عن الآيات: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}؛ والسبب في هذا التباين هو اختلاف المعنى في السياقين؛ فالآيات في السياق الأول تخبر عن نعم الله تعالى على رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهدايته وعنايته له في صباه وفي فتوته وفي وقت اكتهاله، وأمّا الآيات في السياق الثاني فتطلب من الرسول الكريم شكر تلك النعم في تناسب بديع.

وأما المقاطع الصوتية للفواصل فقد وردت جميعها ثنائية المقطع؛ إذ تشكلت في الآيات الأولى من مقطعين: مقطع قصير ومقطع طويل وكلاهما مفتوحان، وهذا التشكيل متناسب مع المعنى المراد؛ إذ أريد من ذلك إزالة ما التبس على الرسول - ﷺ - من مقالة المشركين بأنّ ربّه قلاه، وسكونه ونزول الطمأنينة على قلبه، فكأنّ الأمر بحاجة إلى توضيح وتجليّة، فالضاد في (الضحى) صوت مجهور مفخم انفجاري شديد، ثمّ يعقبه حرف الحاء الصوت المهموس المرقق الدال على التدرّج من التخلص من النور، ثم يأتي الصائت المجهور الذي لا يعترض مجرى الهواء عند نطقه اعتراضاً تاماً أو ناقصاً<sup>9</sup>، والذي يدل على الاستمرار في الوضوح، ثم نجد في الفاصلة الثانية (سَجَى) السين المهموسة بما فيها من صفير بالتقاءها بالجيم المجهورة الرخوة التي يختلط صوتها الانفجاري بنوع من الحفيف فيقلل من الشدة؛<sup>10</sup> فيتضح سكون الليل وهدوئه، وفي الفاصلة الثالثة (قلى) جاء حرف القاف الشديد الانفجاري المتبوع باللام المجهور المفخمة الدالة على البغض الشديد الذي وجهه إليه المشركون.

وهكذا أعقبتها الفواصل في الآيات {وَلَآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} التي تتكون من مقطعين مفتوحين الأول قصير، والثاني طويل اللذين تبينان نعم الله المستمرة على الرسول - ﷺ - غير المنقطعة العاجلة النفع عليه، من سرعة تهذيبه وتعهده أحواله الخلقية، فكان تكوينه الذكي على الكمال خير من تربية الوالدين، وكذلك سرعة هدايته بعد أن كان في حيرة من أمر قومه، وتيسير خديجة له التي لها الدور في إغنائه.

ثم انتقلت الفاصلة في مقاطع الفواصل في الآيات: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} من المد إلى الراء وانتقل معها المعنى، ولما لم يكن الصوت ملائماً فعدل إلى الراء وانتقل من المقطع المفتوح إلى المغلق، فالنهر والقهر والتحدث كلها سريعة الحصول عن طريق اللسان لا تحتاج إلى جهد، وفي الآية الأخيرة قال: "فَحَدِّثْ" ولم يقل: "فخبر"؛ ليكرر ذلك ويشيعه، فإن التحديث يقتضي التكرار والإشاعة بخلاف التخبير فإنه لا يقتضي ذلك<sup>11</sup>. وجاء في تفسير الرازي: "اختار قوله: "فحدّث" على قوله "فخبر"؛ ليكون ذلك حديثاً عنده لا ينساه، ويعيده مرة بعد أخرى"<sup>12</sup>.

## 2. ملامح الأصوات المفردة:

إنّ طبيعة الأصوات المفردة ومخارجها وصفاتها من جهر وهمس وشدة ولين واحتكاك وانفجار من أولى المراحل للدراسات الصوتية؛ حيث إنّ لكل صوت خاصيته التي تميّزه عن غيره من حيث الشدة والليونة، فإذا دخل النصّ حمل معه من الملامح الموحية مما يكسب النصّ جمالاً، لا سيّما إذا حسن اختيار الصوت، وانسجم مع المعنى، ويرى ابن جني علاقة الأصوات بالدلالة على المعاني، فقال: "أمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع... وذلك أنّهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها"<sup>13</sup>، فهم "يضبطون نظام الألفاظ المقترنة المتقاربة بالمعاني، فيجعلون الحرف الأضعف فيها والأخفى والألين والأسهل والأهمس، لما هو أدنى وأقلّ وأخفّ عملاً أو صوتاً، ويجعلون الحرف الأقوى والأشدّ والأظهر والأجهر، لما هو أقوى عملاً وأعظم حسّاً"<sup>14</sup>، ويرى الرافعي: "أن الأصل في نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية"<sup>15</sup>. وهذا جدول يوضّح صفات الأصوات وعدد تواترها في السورة:

| الصفة  | عدد تواترها |
|--------|-------------|
| الجهر  | 93          |
| الهمس  | 27          |
| الشدة  | 26          |
| الرخوة | 21          |
| التوسط | 38          |

وفيما يأتي تحليل دلالي لصفات الحروف:

أ. الجهر: ويحدث عند اهتزاز الوترين اهتزازًا منتظمًا، فيحدث صوتًا موسيقيًا تختلف قوته حسب عدد الهزات في الثانية، كما تختلف شدته حسب سعة الاهتزازة الواحدة<sup>16</sup>، فالجهر صفة من صفات القوة، وقد جاءت الأصوات المجهورة في سورة الضحى في (93) موضعًا، وهذا أحد الملامح الأسلوبية التي تنسجم مع أهداف السورة الكريمة في حجاج المشركين الذين ادّعوا انقطاع الوحي عن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - الأمر الذي استلزم الشدة والقوة في العرض والمعالجة.

ويلحظ ذلك جليًا في بداية السورة حيث جاء القسم بالضحى؛ ويرى ابن عاشور أنه جاء لإبطال قول المشركين الذين زعموا أن ما يأتي من الوحي للنبي - ﷺ - قد انقطع عنه<sup>17</sup>، فجاء الردّ الإلهي عليهم بآية حشدت الكثير من الأصوات المجهورة؛ التي سيكون لجرسها ولإيقاعها وقع أقوى وتأثير أشدّ في نفوس المخاطبين.

ولعلّ من الأصوات المجهورة شديدة البروز في السورة الكريمة (الألف)؛ حيث انتهت به الفواصل في ثماني آيات من إحدى عشرة آية، وذلك مناسب - فيما يبدو - للسياق العام للسورة الذي يحاجج المشركين في قضية فتور الوحي، ويبشر الرسول بأن الآخرة خير له من الأولى، وأنه موضع تأييد الله وتوفيقه، كما أنّ تكرار صوت اللام المجهور مع الألف في قوله: {وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى} يشعر بالتجانس في إيقاع الأصوات بما يحقق جرسًا خاصًا.

ب. الهمس: وهو الذي لا يهتز معه الوتران الصوتيان، ولا يسمع لهما رنين حين النطق بهما<sup>18</sup>، وعدد الأصوات المهموسة في السورة (27)، هو يمثل نسبة ربع الأصوات المجهورة، ومثال ذلك قوله: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}؛ حيث سيقى الآية للحديث عن نعم الله تعالى على الرسول - ﷺ - وجاءت الأصوات المهموسة بشكل منتظم في الآية وهي: "السين، والفاء، والطاء، والكاف، والفاء، والتاء"، وقد وظفت توظيفًا رائعًا في الإيقاع الداخلي، وكان حظ كلمة "يُعْطِيكَ" اثنين منها؛ لأنّ العطاء هو الكلمة الأساسية في الآية، فإذا كان العطاء من طيب نفس ليس وراءه طمع ولا غاية، وهذا لا يتحصل إلا بحرف الطاء الحرف المهموس. ويصحب هذا العطاء سرعة الرضا، والذي يصوره حرف الفاء الصوت المهموس الشفوي السني الاحتكاكي<sup>19</sup>.

وممّا أفاده ملمح الهمس في السورة قوله: " سَجَى " في قوله-تعالى- {وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}؛ فصوت السين الصامت المهموس اللثوي الاحتكاكي<sup>20</sup> قد عبّر عن سكون الليل وهدوئه، وما يثبت في النفس الإنسانية من قلق واضطراب نتيجة لعدم نزول الوحي على الرسول-ﷺ-.

ج. الشدّة: والصوت الشديد هو الذي يسمّيه المحدثون الانفجاري هو انحباس الصوت في موضعه، كأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا التقاء محكمًا، فلا يسمح بمرور الهواء لحظة من الزمن، ثم ينفصل العضوان فيندفع الهواء المحبوس فجأة ويحدث صوت انفجاريًا<sup>21</sup>.

وتتجلّى حروف الشدّة بصورة واضحة في قوله تعالى: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}؛ حيث وظّف صوت الدال والكاف والباء والكاف والقاف، فجاءت الآية انفجاريًا في أوجه المشركين وصدمة لهم، فصوت الكاف وصوت القاف الانفجاريان يسهمان في الدلالة على أنّ الله تعالى ما ودّع الرسول-ﷺ- ولا أبغضه، كما كان لظهور حرف الضاد كما في كلمة "ضالًا" وفي مواضع مختلفة من السورة وظيفة دلالية في تصوير حال الرسول-ﷺ- وتيسير أمره وانكشاف همّه.

د. الرخوة: ويسمّيها الدارسون المحدثون الصوت الاحتكاكي، فعند النطق بهذه الأصوات لا ينغلق مجرى الهواء انغلاقًا تامًا عند النطق بها، بل يضيق نسبيًا، بحيث يسمح للهواء بأن يمر به مع احتكاك بجانيه، فيحدث الهواء نوعًا من الصفير أثناء مروره بمخرج الصوت<sup>22</sup>، فوردت هذه الأصوات (21) مرّة، وهي أقلّ ورودًا في السورة، وأكثر حرف رخو تكرر في السورة حرف الفاء، وفيه دلالة على تسهيل أمر الرسول-ﷺ- وتغيّر حاله وتهوين الشدّة التي هو فيها.

هـ. الأصوات المتوسطة: وهي أصوات أربعة ليست بالشديدة ولا بالرخوة، وسمّاها المحدثون بالأصوات المائعة، وفي حالة النطق بها يلتقي العضوان، إلا أنّ الهواء يجد طريقًا له ليتسرب إلى الخارج دون أن يحدث احتكاكًا<sup>23</sup>، وهي أكثر الأصوات تكرارًا بعد أصوات الجهر؛ إذ وردت في (38) موضعًا، وأكثر حروفها تكرارًا هو حرف اللام، ثم الميم ثم الراء ثم النون.

### 3. المناسبة الصوتية:

وهي أن يكون الصوتان المتجاوران أو اللذان يفصل بينهما حاجز غير حصين على صورة لا يرد فيها تنافر أحدهما مع الآخر، لا في الأداء ولا في السمع، وتخضع بعض صور المناسبة الصوتية للتقعيد، ويظل بعضها الآخر للاختيار الأسلوبى الفنى الفردي<sup>24</sup>. ومن صور ذلك في سورة "الضحى" إمالة ما أصله ألا يمال، كإمالة ألف "الضحى" (مع كونها واوية) ليشاكل التلفظ به اللفظ الذي في الفاصلة التي بعدها في "سجى" و"قلى" (أصلهما ياء)<sup>25</sup>، وقد ذكر ابن مالك أن الألف قد تمال لطلب التناسب كإمالة ألفي: {وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى}؛ ليشاكل التلقظ بهما التلقظ بما بعدهما<sup>26</sup>؛ حيث إنّ الإمالة ظاهرة موقعية ترتبط بالمناسبة، تحكمه بيانات صوتية، ولا يمكن اعتبار هذا الارتباط ملزمة للقراء<sup>27</sup>.

### 4. الموازنات الصوتية:

تكون الموازنة الصوتية بين طرفين يتناظران كلياً وجزئياً في عناصر تكوينهما الصوتي<sup>28</sup>، وقد وردت بين مقاطع الفواصل بشكل واضح في قوله تعالى: {وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}؛ فبناء المقطع للفواصل موحد ويتكون من مقطعين، وهذا التوحد في البناء التشكيلي يخلق إيقاعاً موحدًا للصورة، لمشهد فتور الوحي بعد إشرافه وتجليه، وإزالة اللبس ببيان نعم الله على رسوله- صلى الله عليه وسلم-، ومن الموازنات الناتجة عن التكرار الصوتي في فواصل الآي قوله تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} فمع اتفاق كلمتي: (تنهر، تقهر) في بنائهما المقطعي فإنهما قد تماثلتا في الأصوات: (التاء، الهاء، الراء)؛ إذ تخلق الموازنة إيقاعاً قوياً معلناً العناية بكل من اليتيم والسائل، وعدم إيذاؤهما بأقل شيء قد يسيء إليهما.

وأما مخالفة الأسلوب للفاصلة في قوله تعالى: [وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ]، فقد جاء بصيغة الأمر، وبحرف الثاء في آخره، فقال (حدّث) بدل (خبر)؛ وذلك يدلّ دلالة أسلوبية واضحة إلى الإعلام والتحدّث بنعمة استمرار نزول الوحي عليه، وعدم انقطاعه كما زعم الكافرون، ومعلوم أنّ التحدّث بالشيء يتعدّى إلى زمن غير زمن التلفظ به، وهو ما لا يفيد لفظ الإخبار، وفي ذلك دلالة واضحة على استمرارية الوحي وعدم انقطاعه طوال حياته.

## (2) المستوى الصرفي

تتحدّد وظيفة علم الصرف في وصف البنية الداخلية للكلمات، ودراسة القوانين التي تحكم هذه البنية<sup>29</sup>، وسنتحدّث عن بنية الأفعال ثمّ الأسماء في السورة الكريمة، وقد توصلنا من بعد الإحصاء إلى أنه قد ورد في السورة سبعة أفعال ماضية، وأربعة أفعال مضارعة، وفعل واحد بصيغة الأمر. ويؤكد الإحصاء غلبة الفعل الماضي؛ لأنّه أصل الأفعال وأكثرها استعمالاً، ومعلوم أنّ سورة الضحى تردّ على مقالة المشركين، وهذا الأمر يعتمد في تأكيده على الأخبار والتقرير والثبوت؛ ولهذا كثرت الأفعال الماضية الدالة على تحقّق الفعل وثبوته. فـ"أوى- هدى- أغنى" أفعال ماضية؛ أفادت أنّ الله تعالى آواه بعد يتم، وأغناه بعد عيلة، وهواه بعد ضلال.

وجاء الفعل المضارع الدال على التجدد والحدوث في المرتبة الثانية في السورة كما في قوله: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}، فالفعل "يعطيك" مضارع يدل على أن العطاء الموعود به مستمر لا ينقطع، وكذلك في قوله: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ}؛ فكلّمتا "تقهر" و"تنهر" فعلا مضارعان يدلّان على التجدد والحدوث في كل زمان ومكان. وأمّا فعل الأمر فقد ورد في موضع واحد في قوله تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}، وذلك يعني أنّ الكثير من نعم الله تعالى التي أنعم بها على رسوله -ﷺ- يجب التحدّث بها، ويتمثّل ذلك في تبليغ الرسالة وتعليمهم تعاليم الإسلام؛ فيقول لمن يخاطبه: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأتّي رسول الله، ومنها تعريفه الناس ما يجب له من البر والطاعة<sup>30</sup>.

ومما جاء من صيغ صرفية في السورة صيغة (فَعَلَ)؛ وهي من الأوزان التي يكثر استعمالها لخفة بنائها، وقد قال ابن يعيش أنّها تستخدم في الأفعال المرئية؛ ذلك أنّ "مفتوح العين يقع على معانٍ كثيرة لا تكاد تنحصر توسعا فيه لخفة البناء واللفظ، واللفظ إذا خفّ، كثر استعماله واتسع التصرف فيه، فهو يقع على ما كان عملاً مرئياً. والمراد بالمرئي ما كان متعدّياً فيه علاج من الذي يوقعه بالذي يوقع به، فيشاهد"<sup>31</sup>، وقد لوحظ أن الأفعال في السورة التي جاءت على فَعَلَ كلها أفعال مرئية.

وأما (فَعَلَ) فيأتي للتعدية وغالباً ما يأتي للتكثير<sup>32</sup>، وقد ورد في موضعين (ودّع وحدّث)، وهو يدلّ في الموضعين على التكثير، وقال الزمخشري: التوديع: مبالغة في الودع، لأنّ من ودّعك مفارقاً فقد بالغ في تركك<sup>33</sup>، وأمّا (حدّث) فهو من التحديث، ويعني الإخبار،

أي: أخبر بما أنعم الله عليك اعترافاً بفضله،<sup>34</sup> والنعم كثيرة، فالإخبار عنها يقتضي التكرار والإشاعة.

وتأتي صيغة (أَفْعَلْ) للتعدية في الأكثر<sup>35</sup>، وقد وردت في ثلاثة مواضع (أوى وأغنى وأعطى)؛ وكل هذه الأفعال جاءت في سياق نعم الله على رسوله -ﷺ- وكلها نسبت إلى الله؛ وذلك ليعلم المشركون أن الله تعالى هو المنعم العظيم، وأن نعمه على رسوله الكريم، وفي ذلك دحضٌ لافتراءهم، وإلزامٌ لهم بالحجة.

وأما بنية الأسماء من حيث التعريف والتنكير، فقد وردت النكرة في المواضع الآتية: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى}، و{وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} و{وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}؛ فجاءت (يتيماً) و (ضالاً) و (عائلاً) نكرات لتدلّ على العموم؛ فالإيواء ليس خاصاً به، وإنما عامّاً لأي يتيم، وكذلك الهداية عامة لأي ضال، والإغناء عامّاً لأي عائل، وأما المعرفة فقد ورد منها: الضمير، والمعرف بآل، والمضاف إلى معرفة، فالضمير السائد في السورة هو ضمير المخاطب العائد على الرسول -ﷺ- في ضوء ذكر نعم الله عليه، وما يجب على الرسول من شكره تجاه هذه النعم، وأما المعرف بآل فقد يستخدم القرآن للعهد حيناً، وللجنس حيناً آخر، ومن أجمل مواقعها فيه أن تستخدم لاستغراق خصائص الجنس<sup>36</sup>، ومثال ذلك اللام في «الآخرة» و«الأولى»؛ أي كل أجل أمره هو خير من عاجله في هذه الدنيا وفي الأخرى<sup>37</sup>، وكذلك التعريف في اليتيم والسائل هو تعريف الجنس، فهو يعمّ كل سائل ويشمل كل يتيم<sup>38</sup>.

وأما التعريف بالإضافة فله دلائل مختلفة، فقد دلّت على التشريف، كما في قوله: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}، {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى}، {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} بالإضافة في (ربك) تشريف للرسول -ﷺ-، ولابن عاشور استنباط لطيف، يقول فيه: "وتعريف ربك بالإضافة دون اسم الله العلم لما يؤذن به لفظ (رب) من الرأفة واللفظ، وللتوسل إلى إضافته إلى ضمير المخاطب لما في ذلك من الإشعار بعنايته برسوله وتشريفه بإضافة رب إلى ضميره"<sup>39</sup>.

وأما المشتقات فقد ورد من صيغها كلمة (يتيم) في قوله: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى}، وهي صفة مشبهة على وزن (فعليل)، وهي تدلّ على ثبوت اليتيم له، وأما كلمات (ضال) و (عائل) و (سائل) في قوله: {وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى} و{وَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} فآمّا اليتيم فلا تنهز وآمّا السائل فلا تنهز في أسماء أفعال تدلّ على أن الضلال والعيلة والسؤال كلّها أمور حادثة، وجاء اختيار صيغة اسم الفاعل قالباً مناسباً لها؛ ليكسبها ما تستحقه من قوة

لتأكيد دلالتها وتمكينها من النفوس، ويرى ابن الأثير أن الألفاظ لا تفيد معنى التأكيد والتقوية إلا إذا وجدت فيما فيه معنى الفعلية، كاسم الفاعل واسم المفعول، وكالفعل نفسه<sup>40</sup>.

### (3) المستوى التركيبي

تشكّل التراكيب والجمل أساس التحليل التركيبي<sup>41</sup>، ويدخل ضمن هذا المستوى تحليل بنية الجملة، والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، ويبدو أنّ الطابع العامّ لتركيب الجملة في السورة الكريمة قائم على التركيب الخبري، وستتناول هذه الدراسة بنية الجملة الخبرية والإنشائية ودلالاتها، وطرائق توكيد الخبر المتمثلة في القسم، ولام الابتداء وسوف، وأساليب التقديم والتأخير والحذف الواردة في السورة الكريمة.

#### 1. بنية الجملة الخبرية:

أ. القسم: وقد ورد في بداية سورة الضحى بحرف الواو، قال تعالى: {وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ}؛ حيث أقسم الخطاب القرآني بالضحى والليل، والقسم بالمخلوقات يأتي - عادةً - لبيان صورة حسية وواقع مشهود، يمهد لموقف مماثل، غير حسّي ولا مشهود، هو فتور الوحي بعد إشراقه وتجليه<sup>42</sup>.

ولكن ما العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه؟ وهنا يشير ابن القيم إلى ذلك بقوله: "مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذي يوافي بعد ظلام الليل- المقسم عليه، وهو نوره الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه، حتّى قال أعداؤه: ودّع محمدًا ربّه، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل، على ضوء الوحي ونوره، بعد ظلمة احتباسه واحتجابه"<sup>43</sup>، وهذه الواو قد خرجت عن أصل معناها اللغوي الأول في القسم للتعظيم، إلى معنى بلاغي، هو اللفتُ بإثارة بالغّة إلى حسّيات مُدرّكة لا تحتل أن تكون موضع جدل ومماراة، توطئة إيضاحية لبيان معنويات مُمارى فيها، أو تقرير غيبيات ليست من الحسّيات والمدركات.

فالبيان القرآني في قسمه بالفجر وبالصبح إذا أسفر وإذا تنفس، وبالشمس وضحاها، والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى، يجلو معاني من الهدى والحق أو الضلال والباطل، بماديات من النور والظلمة في مختلف درجاتهما، وهذا البيان للمعنويات بالحسّيات، هو مدار استعمال البيان القرآني للظلمات والنور بمعنى الضلال والهدى<sup>44</sup>، وقال القلقشندي: "ما أقسم الله فيه بشيء من مخلوقاته ومصنوعاته منه المقصود منه مع التأكيد التنبيه على عظيم قدرته، وجلال عظمتة، من حيث إبداعها تعظيمًا له لا لها"<sup>45</sup>.

## صورة الضمى: مقاربة أسلوبية..... جملة فصل الخطاب

لقد دلّ القسم بالضمى والليل دلالة جليّة على أنّ العناية الإلهية قرّرت أنّ محمّدًا مشمولٌ بعون الله ورعايته ومحبّته، وفيه إشارة إلى شدّة غضبه تعالى على مقولة الكفّار الذين ادّعوا أنّ الله قد أبغض محمّدًا وقطع الوحي عنه قطعًا كليًا، والقسم – كما أشار ابن عاشور- هو من "أساليب إظهار شدّة الغضب"<sup>46</sup>، وفي ذلك دلالة حجاجية قوية في الردّ عليهم وإثبات نفي وقوع الحدث.

### ب. لام الابتداء وسوف إذا دخلت فعل مضارع:

من صيغ التوكيد: الجملة الاسمية ولام الابتداء وسوف إذا دخلت على فعل مضارع فيه وعد أو وعيد، وقد وردت هذه الصيغ في قوله-تعالى: {وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ}؛ فلام الابتداء جاءت لتحقيق الأمر، وإثبات أن مستقبله خير له من ماضيه وأنه كائن لا محالة<sup>47</sup>، وقد زيد من تأكيدها أنها جملة اسمية، والخطاب بالجملة الاسمية وحدها أكد من الخطاب بالجملة الفعلية، فإذا أريد مجرد الأخبار أتى بالفعلية، وأما أن أريد التأكيد فبالاسمية وحدها<sup>48</sup>.

في الآية الثانية وردت لام الابتداء، وسوف التي دخلت على فعل مضارع فيه وعد، وقد ذكرت الآيتين معًا، لأن كلاهما تؤكد الأخرى؛ ذكر الآخرة في الآية الأولى، والتي ذكر فيها أن مستقبله خير من ماضيه، فناسب استخدام سوف ليكون توكيدًا لذلك، ولما كانت الآخرة تشمل كل ما يستقبله من عمره في الحياة الدنيا والآخرة ناسب أن يستعمل سوف، ولم يأت بالسین، ولما قال "وللآخرة" فأكد ذلك باللام، وأكد إعطاءه باللام، فقال: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ} فناظر بين التوكيدين<sup>49</sup>، وإن هذه الآية مرتبطة بالآية قبلها، إذ هي تأكيد بأن الآخرة خير له من الأولى؛ لأنه سوف يعطيه فيرضى.

وتدلّ هذه الآية: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ} دلالة واضحة على معاني الرجاء والوعد المنظر في المستقبل بتوالي النعم واستمرارها، وأفضلها معاودة نزول الوحي، وإبطال حجج الكافرين في عصره، وفي جميع العصور بأنّ الله ناصر رسوله على أعدائه.

### 2. بنية الجملة الإنشائية:

ورد الاستفهام بالهمزة في قوله تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ}، وفي ذلك عدول واضح في الأسلوب بالانتقال من الخبرية إلى الإنشائية، وفي ذلك دلالات مهمّة تتعلق بالمتلقي، فمعلوم أنّ الاستفهام يحرك الفكر ويشدّ الانتباه، ويحفّز على التفاعل والمحاوره، ومجيء الاستفهام في الآية للدلالة على التقرير وحمل المخاطب على الاعتراف بنعمة الله عليه،



#### سورة الضحى: مقاربة أسلوبية

في تحديد العطاء جوراً عليه، والأليق بجلال الموقف أن يكتفي فيه بالرضا على ما أراد البيان القرآني<sup>53</sup>.

وأما قوله تعالى: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} فقد حذف مفعول (قلى)؛ إذ الأصل (قلاك)، وذلك للدلالة على عدّة معاني جليّة أبرزها: الشفقة بالرسول-ﷺ- واللطف به، وكان الحذف لئلا يواجه-عليه الصلاة والسلام- بنسبة القلى<sup>54</sup>، وهي تحاشي خطابه تعالى لحبيبه المصطفى في مقام الإيناس: ما قلاك، لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض. أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك<sup>55</sup>، ويرى السامرائي أن: "لهذا الحذف غرضاً بديعاً وسراً لطيفاً علاوة على ما ذكره السابقون، وهو أن الحذف ههنا للإكرام والتعظيم؛ وذلك أنه تعالى لم يرد أن يواجهه بالقلى فيقول: (وَمَا قَلَاكَ)، وإنما اكتفى بالمفعول السابق إكراماً لرسول الله من أن يناله الفعل، ونحو هذا يجري في كلامنا كأن يقول أحد لآخر: بلغني عنك أنك شتمت وقلت، فيقول: لا والله ما شتمت ولا قلت، فحذف المفعول من الفعلين تعظيماً له من أن يناله الفعل"<sup>56</sup>.

أما حذف المفاعيل في قوله تعالى: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}، وهي: فآوى، فهدى، فأغنى، فهي للدلالة على معاني يقتضيهما السياق البياني للسورة منها: مراعاة رؤوس الآي، وهو أمرٌ يتحقق به الإيقاع الصوتي الجميل، ولكن الخطاب القرآني - كما يرى أغلب المفسرين - لا يمكن أن يقوم على اعتبار لفظي محض، وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحوظ الشكلي هو الأصل، ولو كان البيان القرآني يتعلّق بمثل هذا، لما عدل عن رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى<sup>57</sup>.

ومن الدلالات أيضاً في حذف المفعول في (فآوى)؛ أن الإيواء لم يكن منحصرًا به - ﷺ-، فقد آواه وآوى به خلقًا كثيرًا، وإن كثيرًا من اليتامى آوا بتعاليم الرسول-ﷺ- وتوجيهه فكان سببًا لإيوائهم وإكرامهم، وأما حذف الكاف في (هدى)؛ فإنه هداه وهدى به خلقًا كثيرًا، وهدى له أي لأجله-ﷺ- من هدى، وكذلك القول في (فأغنى) فإنه أغناه، وأغنى به خلقًا كثيرًا وأغنى له<sup>58</sup>.

#### (4) المستوى الدلالي

يتناول الأسلوبيون عادة في المستوى الدلالي الصورة الفنية في التعبير، كما يشيرون إلى بعض الأساليب التي تناولها البلاغيون في فنون البديع، ويعيدون تصنيفها دلاليًا، لأنها

تسهم في إنتاج الدلالة وتؤدي وظائف مهمة في بناء النص من جهة التركيب والبنية اللغوية السطحية والعميقة، وسنشير في هذه الدراسة إلى الصور المجازية كالاستعارة والمجاز العقلي، وإلى اللف والنشر الذي صنّفه البلاغيون قديماً في فنون البديع المعنوي.

1. الصور المجازية: من ذلك التصوير القائم على الاستعارة في كلمة (وَدَّعَكَ) في قوله: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى}؛ والتوديع تحية من يريد السفر، استعير في الآية للمفارقة بعد الاتصال، تشبيهاً بفراق المسافر في انقطاع الصلة؛ حيث شبه انقطاع صلة الكلام بانقطاع صلة الإقامة، والقرينة إسناد ذلك إلى الله الذي لا يتصل بالناس اتصالاً معهوداً، وهذا نفي لأن يكون الله قطع عنه الوحي<sup>59</sup>.

ومن ذلك المجاز العقلي في إسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي، حيث أسند السكون إلى الليل في قوله: [وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى]، والأصل إسناده إلى الله تعالى؛ لأنّه هو الفاعل الحقيقي، ويمكن إسناده أيضاً من باب الاتساع في المعنى إلى حامل الوحي جبريل - عليه السلام - والمراد سكون جبريل عن القيام بالمهمة المكلف بها، وهي الوحي، وإعطاء محمد - صلى الله عليه وسلم - فرصة للاستراحة من المشقة التي لحقته في فترة نزول الوحي عليه، وتجديد نشاطه لتلقيه من جديد، لأنّ وصف الليل بالسكون فسكونه مجازي لأنه غير قابل للحركات المباشرة التي قد توصف بالهدوء حيناً وبالفعالية حيناً آخر، وهذا الاتساع في التعبير مهم في إنتاج الدلالة وعرض المعنى في ثوب جميل، كما أنّ المجاز "أعلى مرتبة لاستخراج قدرات البناء اللغوي من تغير المعنى ونقله، أو تحريكه في اتجاهات يتسع في بعض منها ويضيق في بعض"<sup>60</sup>. وقد أسهم هذا النوع من المجاز في التعبير عن استمرارية عملية التخاطب والتواصل بين الرسول والوحي الإلهي، وهو الهدف الأساسي الذي تهدف إليه سورة "الضحى".

## 2. اللف والنشر:

وهو عند البلاغيين: "أن يذكر متعلّداً ثم يذكر لكل من أفرادها شائعاً من غير تعيين، اعتماداً على تصرف السامع في تمييز ما لكل واحدٍ منهما، وردّه إلى ما هو له"<sup>61</sup>، وقد تضمّن النصّ لفاً ونشراً، ويحتمل أن يكون من النشر المرتّب كما قال بعض المفسرين، ويكون بهذه

|         |                                 |                                       |
|---------|---------------------------------|---------------------------------------|
| الصورة: | أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى | ← فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ  |
|         | وَجَدَكَ ضَالّاً فَهَدَى        | ← وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ  |
|         | وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى   | ← أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ |

فقد قوبلت النعم الثلاث المتفرّج عليها هذا التفصيل بثلاثة أعمال تقابلها؛ فقوله: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} مقابل لقوله: {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى} كما هو واضح؛ أي فكما أواك ربك وحفظك من عوارض النقص المعتاد لليتم، فكن أنت مكرماً للأيتام رفيقاً بهم، فجمع ذلك في النَّهْي عن قهره؛ لأنَّ أهل الجاهلية كانوا يقهرون الأيتام، ولأنَّه إذا نهى عن قهر اليتيم مع كثرة الأسباب لقهره؛ لأنَّ القهر قد يصدر من جراء القلق من مطالب حاجاته فإن فلتات اللسان سريعة الحصول<sup>62</sup>.

وقوله: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ} مقابل قوله: {وَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى}؛ لأنَّ الضلال يستعدي السؤال عن الطريق، والسائل عن الطريق قد يتعرض لحماقة المسؤول، فجعل الله الشكر عن هدايته إلى طريق الخير أن يوسّع باله للسائلين<sup>63</sup>، فلا يختصّ السائل بسائل العطاء بل يشمل كل سائل، وأعظم تصرّفات الرسول ﷺ بإرشاد المسترشدين.

وقوله: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} مقابل قوله: {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى}، فإنَّ الإغناء نعمة فأمره الله أن يظهر نعمة الله عليه بالحديث عنها وإعلان شكرها<sup>64</sup>، ومن هنا تتضح لنا أهمية اللف والنشر في الربط بين أجزاء السورة، وتحقيق التماسك النصّي وإثبات الوحدة العضوية للنصّ.

#### الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. تضافرت المستويات الأربعة في سورة الضحى بدءاً من الصوت إلى البنية والتركيب لإنتاج الدلالات الفكرية والحجاجية التي تهدف السورة إلى تحقيقها.
2. في المستوى الصوتي وظفت الحروف بصفاتها الدالة على الجهر أو الهمس، أو الشدة أو الرخاوة بما يسهم في التعبير بدقّة متناهية عن المعاني الواردة في سياقاتها الداخلية والخارجية، كما لوحظ بروز موازنات صوتية بين المقاطع الصوتية وبين التراكيب، فضلاً عن توظيف المقاطع الصوتية الضيقة المفتوحة والطويلة المفتوحة بما يشكل تميزاً أسلوبياً في السورة الكريمة.
3. ولوحظ في المستوى الصرفي وجود صيغ صرفية معينة دون غيرها، وذلك تناسباً مع الدلالة على الجوّ العامّ للسورة الذي يهدف إلى طمأنة قلب الرسول بعدم انقطاع الوحي.
4. وأمّا في المستوى التركيبي، فقد لوحظ هيمنة التعبير الخبري لتأكيد لطف الله تعالى برسوله واستمرار عونه ومساندته له بالتنزيل، كما أسهمت أساليب التقديم والتأخير

والحذف الواضحة في بعض التراكيب في الدلالة على معاني التوجيه والتخصيص والعناية بالمقدم.

5. وشمل المستوى الدلالي بعض الصور المجازية كالأستعارة والمجاز العقلي، التي أسهمت في إنتاج دلالات كثيرة تخدم الجو العام للسورة، وشمل أيضاً أسلوب اللف والنشر التي أسهم بصورة واضحة في بناء النص وتماسكه وترابطه.

### مراجع البحث وإحالاته:

- 1 ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984م، (ج3 ص393).
- 2 أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة الضحى، رقم الحديث (11617).
- 3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج30 ص394).
- 4 عجيل، موسى، سورة الضحى: دراسة دلالية، مجلة الدراسات المستدامة، مؤسسة الدراسات المستدامة، مج2، عدد1، 2020م، ص104.
- 5 الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 1957م: (ج1 ص53).
- 6 المصدر السابق: (ج1 ص53، 54).
- 7 بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (دراسة قرآنية لغوية وبيانية)، ط3، دار المعارف، القاهرة (د.ت)، ص268.
- 8 السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، 1998م، ص218.
- 9 السعران، محمود، علم اللغة، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ص125.
- 10 أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ص25.
- 11 السامرائي، فاضل، على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة، الشارقة، 2002م، (ج1، ص120).
- 12 الرازي، محمد عمر (ت.606هـ)، التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ، (ج31 ص201).
- 13 ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392) الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ت)، (ج2، ص159).

- 14الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ الأدب العربي، مكتبة الإيمان، المنصورة، (د. ت)، ج1، ص193.
- 15الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط9، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م، ص225.
- 16أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص20
- 17ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج30 ص394).
- 18أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص22.
- 19السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص134.
- 20نفسه، ص145.
- 21إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص24.
- 22لوشن، نور الهدى، مباحث في علم اللغة، 119.
- 23المرجع السابق، ص120.
- 24تمام حسان، البيان في روائع القرآن: (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة، 1993، ص300.
- 25الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (ج1 ص67).
- 26ابن مالك، محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1982، (ج4 ص1975).
- 27تمام حسان، روائع القرآن، ص302.
- 28العمري، محمد، الموازنة الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2001م، ص21.
- 29لوشن، نور الهدى، مباحث في علم اللغة، 141.
- 30ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج30 ص404).
- 31ابن يعيش، علي بن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، (ج4 ص434).
- 32ابن يعيش، شرح المفصل، ج4 ص439.
- 33الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ، (ج4 ص744).
- 34ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30 ص403.

- 35 ابن يعيش، (ج 4 ص 338).
- 36 بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، القاهرة، 2005م، ص 108.
- 37 ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج 30 ص 397).
- 38 نفسه، (ج 30 ص 402).
- 39 نفسه، (ج 30 ص 398).
- 40 ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طيانة، دار نهضة مصر، القاهرة، (ج 2، ص 57).
- 41 لوشن، نور الهدى، مباحث في علم اللغة، ص 149.
- 42 بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، (ج 1 ص 31).
- 43 ابن القيم، الجوزية (ت 751هـ)، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ص 72.
- 44 بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، ص 248.
- 45 الفلقشندي، أحمد بن علي (ت 821)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، (ج 13 ص 203).
- 46 التحرير والتنوير، (ج 9 ص 949).
- 47 ابن الأثير، المثل السائر، (ج 2 ص 53).
- 48 الهاشمي، أحمد إبراهيم، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، ص 57.
- 49 بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن، (ج 1، ص 41).
- 50 الجرجاني، عبد القاهر (471هـ)، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط 3، ص 106.
- 51 الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 146.
- 52 ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج 30 ص 398).
- 53 بنت الشاطئ، التفسير البياني، (ج 1 ص 40).
- 54 الألوسي محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والروح المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، (ج 15 ص 375).
- 55 بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، (ج 1 ص 35).
- 56 السامرائي، فاضل، معاني النحو، ط 1، دار الفكر، عمان، 2000، (ج 2 ص 93).

- 57 بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، (ج 1 ص 35).  
58 السامرائي، على طريق التفسير البياني، (ج 1 ص 118).  
59 المرجع نفسه، (ج 30 ص 395).  
60 الداية، فائز، علم الدلالة العربي، دار الفكر، دمشق، سوريا (د.ت)، ص 899.  
61 الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 402.  
62 ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج 30 ص 401).  
63 المرجع نفسه، (ج 30 ص 402).  
64 المرجع نفسه، (ج 30 ص 403).

#### المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
2. الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والروح المثاني، ت. علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
3. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة (د.ت).
4. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور الرسول - ﷺ - وسننه وأيامه، تحقيق محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، 2001م.
5. بدوي، أحمد، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، القاهرة، 2005م.
6. الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة (د.ت).
7. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ت. محمود شاكر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة (د.ت).
8. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (د.ت).
9. تمام حسان، البيان في روائع القرآن: (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة، 1993م.
10. حسن، عباس، النحو الوافي، ط15، دار المعارف، القاهرة (د.ت).
11. الداية، فائز، علم الدلالة العربي، دار الفكر، دمشق، سوريا (د.ت).
12. الرازي، محمد عمر، التفسير الكبير، ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
13. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط9، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م.

14. الرافي، مصطفى صادق، تاريخ الأدب العربي، مكتبة الإيمان، المنصورة (د.ت).
15. الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 1957م.
16. الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
17. السعران، محمود، علم اللغة، ط2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م.
18. السامرائي، فاضل، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، 1998م.
19. السامرائي، فاضل، على طريق التفسير البياني، جامعة الشارقة، الشارقة، 2002هـ.
20. السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر، عمان، 2000م.
21. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، ت. محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974م.
22. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي: (دراسة قرآنية لغوية وبيانية)، ط3، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
23. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني، ط7، دار المعارف، القاهرة (د.ت).
24. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، 1984م.
25. عباس، فضل، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ط5، دار الفرقان، عمان، 1998م.
26. العمري، محمد، الموازنة الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2001م.
27. القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).
28. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت (د.ت).
29. لوشن، نور الهدى، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2001م.
30. ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1982م.
31. مسلم، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 1991م.

32. الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط1، ت. محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت، 1999م.
33. ابن يعيش، علي بن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.